

الطبعة الثانية



# عقيدة الشيعة

تأصيل وتوثيق من خلال سبعين رسالة اعتقادية  
من القرن الثاني لغاية القرن العاشر الهجري

جمع و تحقيق و تقديم

الشيخ محمد رضا الأنصاري الفيضي

## المعتمد من مذهب الشيعة الإمامية

الشيخ سديد الدين، محمود بن علي الحُمَصي الرازي  
القرن السادس الهجري

✻ هذه الرسالة من الرسائل الاعتقادية المصنوعة على طريقة قدماء الإمامية حيث تبدأ إعادة البحث عن اثبات واجب الوجود وصفاته الثبوتية والسلبية، وتنتهي بالبحث عن الأرزاق والأجال، والمشكلة التي تواجهنا في هذه الرسالة هي عدم التصريح باسم المؤلف ولا عنوان الرسالة، نعم فيها قرائن قد تكون مفيدة لمعرفة المؤلف والوقوف على اسمه وتحديد فترة حياته والقرن الذي كان يعيش فيه، وهي:

- ١ - يتحدث المؤلف عن بعض مصادره ويشير إلى أسماء بعض الاعلام وكتبهم مما يمكن من خلالها تحديد عصر المؤلف ، منهم: أبوالحسين البصري المتوفى ٤٣٦ هـ والشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ والخطيب الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ
- ٢ - يقول مؤلف الرسالة في مقدمتها: (إن الذي بعث على سطر هذه الاوراق بالتخصيص، امثال رسم من أحب اجابته فيما عول عليه لشيء مما وقفت الاشارة إليه، وهو الأخ في الله تعالى محمد بن عبدالله الأسدي، المؤنس في بدر الغربية،

المشكور في الصحبة...) فالرسالة ولدت بطلب من الذي احتضن المؤلف في دار غربته وقام له بواجب الضيافة خير قام بحيث أنس مؤلفنا به في فترة غربته وسفره، ومن المعروف أن بني أسد من القبائل العربية الصليبية التي سكنت وسط العراق وجنوبه وهي المناطق التي كانت مشهورة سابقاً بمنطقة السواد، وتُسمى حالياً بالفرات الأوسط، وبنوا فيها مدينة عامرة وهي الحلة المزيديّة. - بنو مزيد بطنٌ من أسد في القرن الخامس - فأصبحت من الحواضر العلميّة لعدة قرون ونما فيها أسر علميّة قادوا الحركة العلميّة فيها لعقود طويلة كآل المحقق الحلّي، وآل طاوس، وآل العلامة وغيرهم من البيوتات العلميّة، كما أن المدينة احتضنت مجاميع من العلماء الهاربين من بطش المغول، وبالأخص من مدينة السلام بغداد لقربها منها. ويبدو أن مؤلف رسالتنا هذه ممن استوطن هذه المدينة فترة فاستضافه محمد بن عبد الله الأسدي وكرم وفادته، فأنس مؤلفنا به، وقد فحصت طويلاً عمّن سكن الحلة في هذه الفترة أو ما يقاربها، فلم أقف على من تنطبق عليه المواصفات الآ الشيخ سديد الدين محمود الحُمَصي الرازي، المتكلم الشيعي صاحب كتاب «المنقذ من التقليد» حيث يقول في مقدمته: (إنّي لما وصلتُ إلى العراق في منصرفي من الحرمين بالحجاز - حماها الله - مجتازاً مولياً شطر بيتي، لقيني جماعة من اخواننا علماء الحلة وفقهائهم، ومستقبليين، ومكرمين مقدمي، مستبشرين بوصولي إليهم استبشار الخليل بالحبيب، والعليل بالطبيب، وأدخلوني باعزاز وإكرام وإجلال وإنعام، وأنزلوني أشرف منازلهم وأطيبها وأفسحها، وكرموا مثواي، ولقوني بكلّ جميل، واستأنسوني واستأنستُ بهم، ثم بعد الاستيناس أظهروا ما أضمره في الالتماس المشتغل على اقامتي عندهم أشهراً، فشقّ علي واستعفيت عنها، واعتذرتُ بالتَّحَنُّن إلى الأهل والوطن... فاستجبتُ وعزمت على الإقامة واشتغلنا بالذاكرة والمدارس...<sup>١</sup>

واعتماداً على ما جاء في هذه المقدمة يمكن الاطمئنان إلى أن مؤلف رسالتنا هذه هو الشيخ سديد الدين رحمته الله. وقد اختلف المترجمون له في نسبته، فقد نسبته بعضهم إلى

١. المنتقد من التقليد: ج ١ / ص ١٨

مدينة حمص بالشام و آخرين إلى الحُمص كما قال ابن حجر في «لسان الميزان»: (إنَّه كان يتعاطي بيع الحُمص المسلوق)، و لكن الصحيح أنَّ الرجل منسوب إلى قرية من أعمال مدينة الرِّي تُسمى بـ (نخودك) وهي كلمة فارسية تعني الحُمص، والظاهر أنَّه كان يزرع بها فسميت القرية باسمه، كما نسب إليه أهلها ثم عُرِبَت الكلمة في المراجع ثم نُسب صاحبها إلى المدينة المشهورة بالشام بعد وقع الخلط والخطاء في تحريك الحروف.

و يعدّ الحُمصي من أعلام القرن السادس الهجري، و قد ترجمه معاصره و تلميذه الشيخ منتجب الدين الرازي في كتابه «الفهرست» و قال عنه: (الشيخ الإمام، سديد الدين، محمود بن عليّ بن الحسن الحُمصي الرازي، علامة زمانه في الأصولين، ورع، ثقة، له تصانيف، منها: التعليق الكبير، التعليق الصغير، المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد، المصادر في أصول الفقه، التبيين والتنقيح في التحسين و التقبيح، بداية الهداية، نقص الموجز. حضرت مجلس درسه سنين، و سمعت أكثر هذه الكتب بقراءة من قرأ عليه)<sup>١</sup>، كما أشار إليه في الترجمة رقم ٧٩ و ٣٧٣ و ٣٨٩ و ٤٢١ و ٥٢٢. أما الذهبي فقد ترجم له بالتفصيل و كشف عن جوانب هامة من حياته، فقال (محمود بن عليّ بن الحسين الشيخ سديد الدين، أبو الثناء الرازي المتكلم، المعروف بالحمصي. شيخ شيعي، فاضل، بارع في الأصولين والنظر، له عدة مصنفات عمّر نحواً من مائة سنة، وقرأ عليه الفخر بن الخطيب. وورد العراق في هذه الحدود و أخذوا عنه، و تعصّب له ورام بن أبي فراس و حصل له ألف دينار، و دخل الحلّة وقرر لهم نفى المعدوم، و أملى التعليق العراقي، و له تعليق أهل الرِّي، و له كتاب المنقذ من التقليد، وكتاب المصادر في أصول الفقه، وكتاب التحسين و التقبيح و غير ذلك، و كان في ابتدائه يبيع الحُمص المسلوق بالرِّي، ثم اشتعل على كبر و نبُل و صار آية في علم الكلام والمنطق و كان درسه يبلغ ألف سطر و ما يتروى و لا يستريح كأنما يقرأ من كتاب، و كان بصيراً باللغة والشعر والأيام وأيام الناس، و كان صاحب صلاة و تعبد و خشية، ذكره يحيى بن

١. فهرست منتجب الدين الرازي: ترجمة رقم ٣٨.

أبي طي في تاريخه و بلغ في وصفه والله اعلم<sup>١</sup> كما تحدّث عنه الفخر الرازي في تفسيره ذيل آية المباهلة بأنّه: (كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي، و كان معلّم الاثني عشرية...) و عليه فيعدّ الرجل من أعلام القرن السادس الهجري، و يحتمل ادراكه لاوائل القرن السابع الهجري. راجع: طبقات أعلام الشيعة: ق ٦، ص ٢٩٥)

أمّا اسم الرسالة، فلم يرد له ذكر في أثناءها سوى ما جاء في مقدمته حيث قال: متوخياً فيما ألتمس المعتمد من مذهب الشيعة الإمامية، هذا وقد سمّاه مفهرس مكتبة المجلس الشورى العلامة الشيخ عبدالحسين الحائري<sup>٢</sup> في فهرسته بـ «المعتمد في المعتقد».

أمّا نسخة الرسالة فهي ضمن مجموعة من مخطوطات طباطبائي برقم ٧٧٠ من مخطوطات مكتبة (مجلس شورى اسلامي)، ولها نسخة أخرى في مكتبة آية الله المرعشي بقم برقم ٤٥٩٣ (فهرست المكتبة: ج ١٢ / ١٦٢) فهي مطابقة للنسخة السابقة في جميع الجهات ولعلّها مستنسخة منها أو كلاهما من نسخة ثالثة، فهما مشتركان في الاخطاء والسقطات وغيرهما. وقد أخبرني العلامة السيّد عبدالعزيز الطباطبائي بوجود نسخة ثالثة لها في مكتبة (آستان قدس رضوي) و قد نسيت رقمها فلم اعثر عليها.

والرسالة بحسب ما جاء في فهرستها تحتوي على ٢١ فصلاً، إلّا أنّ المخطوطة تفتقد ثلاثة فصول و هي فصل ١٢ في أنّه غني، و فصل ١٣ في أنّ صفاته أزليّة سرمديّة، و فصل ١٤ في خلق الأعمال.

طبعت هذه الرسالة أولاً بتحقيقي في مجموعة (ميراث إسلامي ايران) المجموعة السادسة، سنة ١٨١٤ هـ: ص ٣٤ - ١١.



١. موسوعة «تاريخ الإسلام» للذهبي، وأيضاً ترجم له ابن حجر في «لسان الميزان»: ج ٦ / ٤٠٧ لكنه أخطأ في اسمه فسّمّاه محمّداً.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي عجزت العقول عن أن تدرك كُنْه معرفته، وعثرت الأوهام عن تقدير جلال عزّته، أظهر في البدايع التي أحدثها آثار صنعه وأعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجّةً له ودليلاً على كمال قدرته. الأوّل الذي لم يكن له قبلُ فيكون شيئاً قبله، والآخر الذي ليس له بعدُ فيكون شيئاً بعده. وصلى الله على محمّد عبده ورسوله، الذي أرسله رحمةً للعباد، وهادياً إلى طريق الرّشاد، فأغنى الخلق عن اقتحام السُّدد المضروبة دون الغيوب بالبيان عمّا جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، وآله المعصومين من الزلّل والخطأ، وأئمة الدّين ومنار الهدى. وبعد، فإنّ أحقّ ما تصرف إليه الهمم بالاهتمام، هو التّوجه نحو أسرار علم الكلام، وقد استخرتُ الله تعالى وكتبتُ كتاباً يشتمل على شريف المقاصد، والورود لشرايع التأمّل إلى خصائص من تميز الموارد، والتبحر في دفائن أسرار سبورها الأجهاد<sup>١</sup> وإن كانت جملة المعارف الإلهية تدعُنُ بها آثار مُلك ملك العباد. مع أنّ الذي بعث على سطر هذه الأوراق بالتخصيص، امتثال رسم من أحبّ أجانبه، فيما عوّل عليه لشيءٍ ممّا وقعت الإشارة إليه، وهو الأخ في الله تعالى محمّد بن عبد الله الأسديّ،<sup>٢</sup> المونس في بدر الغربة، المشكور في الصحبة، متوخياً

١. كذا في النصّ، والجملة مبهمّة ولعلها نشأت من سقط بعض الكلمات

٢. لم نعثر في المصادر المتاحة على ترجمة هذا الرجل، ولكن يفهم من نسبة الأسدي انتسابه إلى بني أسد المزيديون، وهؤلاء بطنٌ من بطون بني أسد بن خزيمه من أجيال مضر في القرن الرابع الهجري الذين سكنوا بين البصرة و واسط والأهواز وميسان، واستقروا أخيراً في منطقة الفرات الأوسط ببابل غربى الفرات وبنوا مدينة الحلة المزيديّة، وكانت لهم الزعامة والرياسة، ونبغ بينهم جماعة في قيادة الجيوش و سياسة الملك وفي

فيما أُلتمس المُعتمدُ من مذهب الشيعة الإمامية، وحساب الجميع إلى إله البرية، وإلا فأين المعترفُ بالعجز عن معرفة دقائق أحواله، والتعرض بخبر من حارت العقول في كشف غوامض جلاله، ومن الله تعالى أسألُ التوفيق في المقالِ والفِعالِ، وعليه أَعتمدُ للعاجل والمآل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



- الإشارة إلى ذكر ما وقع العزم عليه من مباحث الكلام، وهو مرتَّبٌ على فصول:
- الفصل الأول: في إقامة البرهان على وجود مؤثرٍ، أزليٍّ، قادرٍ.
- الفصل الثاني: في أنه تعالى باقٍ، سرمدي.
- الفصل الثالث: في أنه تعالى ليس بمتحيِّزٍ ولا في جهةٍ.
- الفصل الرابع: في أنه غيرُ مرئيٍّ.
- الفصل الخامس: في أنه تعالى قادرٌ على كلِّ مقدورٍ، وعالمٌ بكلِّ معلومٍ.
- الفصل السادس: في أنه تعالى مريدٌ وكارهٌ، وماهيّة الإرادة.
- الفصل السابع: في أنه تعالى حيٌّ.
- الفصل الثامن: في أنه تعالى سميعٌ بصيرٌ.
- الفصل التاسع: في كونه تعالى متكلماً.
- الفصل العاشر: في أن حقيقته تعالى غير معلومةٍ لنا.
- الفصل الحادي عشر: في أنه تعالى واحد.
- الفصل الثاني عشر: في أنه تعالى غنيٌّ.
- الفصل الثالث عشر: في أن صفاته تعالى أزليّة سرمديّة.

للم آداب والعلوم، كما ارتبطوا بعلاقات سياسية مع خلفاء بغداد وأمرائها، وقد ارتبط تاريخ الحلة بهذه الأسرة الشيعية منذ تأسيسها للحلة في أواخر القرن الرابع الهجري إلى عدة قرون، ونلاحظ بقاء اسم هذه الأسرة لأمعاً و تردد أسماء أعلامهم في كتب التراجم والتاريخ حتى القرن التاسع الهجري حيث اختفي ذكرهم ودخلوا في غمار الناس.

الفصل الرابع عشر: في خلق الأعمال.  
 الفصل الخامس عشر: في الوعد والوعيد.  
 الفصل السادس عشر: في انقطاع التكليف .  
 الفصل السابع عشر: في النبوة.  
 الفصل الثامن عشر: في النسخ.  
 الفصل التاسع عشر: في الإمامة.  
 الفصل العشرون: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.  
 الفصل الحادي والعشرون: في الآجال والأرزاق.  
 فعدة الفصول إحدى وعشرون فصلاً في المعنى المشار إليه، وليس الغرض ذكر  
 ما يحتوي هذا الفن عليه، بل الغرض الاختصار لا الإكثار، وبالله الثقة في  
 بلوغ المراد.

### الفصل الأول

في اقامة الدليل على وجود مؤثر، أزلي، قادر  
 والدليل على ذلك: أنّ الأجسام محدثة، وكلّ محدث ممكن، وكلّ ممكن لا بدّ  
 أن يستند إلى مؤثر أزلي.  
 أمّا بيان أنّ الأجسام محدثة فهو أنّا نقول: إنّها لو كانت أزلية، لكانت في الأزل  
 إمّا أن تكون متحركة، أو ساكنة، أو كائنة، والأقسام بأسرها باطلة، فامتنع كون  
 الأجسام أزلية.  
 أمّا الحصر فظاهر.  
 وأمّا بيان استحالة كونها متحركة: فلأنّ حقيقة الحركة يقتضي المسبوقية،  
 والأزل عبارة عن نفي المسبوقية، والجمع بينهما محال. وبمثل هذا يبطل كونها  
 ساكنة في الأزل.



وأما بيان استحالة كونها كائنة في الأزل: فلأنَّ الكائن هو ما تقدّم على المتحرّك  
والساكن بوقتٍ واحدٍ، وما كان سابقاً للمحدّث بوقتٍ واحدٍ كان محدّثاً، فثبت أنَّ  
الأجسام محدّثة.

وأما بيان أنَّ كلَّ محدّثٍ ممكن: فلأنَّ المعقولات ثلاثة: إمّا واجبة الوجود  
لذاتها، أو ممكنة الوجود بالنسبة إلى ماهيّاتها، أو ممتنعة الوجود لذاتها.  
وإذا كان الأمر على هذه القضية، فنقول:

الحادثُ خارج عن قسمي الوجوب والاستحالة، فيكون ممكناً.  
وَأما بيان أنَّ الممكن يستدعي مؤثراً: فلأنّه لما كان قابلاً للوجود والعدم على  
حدٍ واحدٍ بالنسبة إلى ذاته، وجب أن لا يكون الترجيح بالنسبة إليه، وإلاّ لزم  
التناقض. وإذا كان الأمر كذلك، فلا بدّ من استناد الممكن إلى مؤثرٍ واجب الوجود  
لذاته، وهو الله تعالى.

وأما بيان أنّه تعالى أثر على سبيل القدرة والاختيار لا على سبيل الإيجاب:  
فلأنّه لو كان موجّباً، لكان صدور الممكنات عنه إمّا أن يكون لنفس ذاته، أو  
موقوفاً على شرطٍ.

والأوّل: محالٌّ، لأنّه كان يلزم منه قدّم ما بيّنا حدوثة، وهو محالٌّ.  
وإن كان موقوفاً على شرطٍ، فذلك الشرط إمّا أزليٌّ وإمّا حادثٌ؛  
والأوّل: محالٌّ لما بيّنا.

وإن كان صدور الممكنات موقوفاً على شرطٍ حادثٍ؛ فلا يخلو أن يكون  
المؤثر فيه الباري أو غيره؛

والأوّل يفيد المطلوب من كونه قادراً لا من كلّ وجهٍ كذلك إلاّ القصد  
والاختيار، فبطل على هذا الوجه الترجيح ودفع التسلسل،  
فظهر ما قلناه من كونه تعالى قادراً غير موجبٍ، وهو المطلوب.

فإن قيل: يردُّ على قولكم: (إنَّ الممكن المتساوي لا يُرَجَّح أحد طرفيه على الآخر إلَّا لمرجِّح)، قول من يقول: (إنَّ الدَّوَآت المعدومة لا تأثير للباري تعالى في تحقُّق ذواتها).

وشرح ذلك: أنَّه لما اتَّسع إجتماع النفي والإثبات، وامتنع كونها أزليَّةً بدليل حدوث الأجسام، ثبت كونها حادثه، وقد ثبت أنَّ الحادث ممكنٌ، فإذا قد رَجَّح جانب الوجود في الممكن على جانب العدم من غير مرجِّح. والجواب: أنَّ دعوى من زعم صحَّة ذلك القول باطلهً بنفس ما ترتَّب عليها من المحال، فسَقَط الإيراد.

### الفصل الثاني

#### في أنَّه تعالى سرمدى

والدليل على ذلك: أنَّه لما ثبت كونه تعالى واجب الوجود لذاته، استحال عليه العَدَم، كما وجب له التقدُّم.

### الفصل الثالث

#### في أنَّه تعالى ليس بمُتَحَيِّزٍ ولا في جهةٍ

والدليل على ذلك: أنَّه لو كان مُتَحَيِّزاً لكان حلوله في الحيِّز: إمَّا أنَّ يكون كحلول الجسم في الحيِّز، فيلزم حدوثه بما ذكرناه من حدوث الجسم كحلوله في الحيِّز، وهو باطلٌ، لثبوت قدمه. أو كحلول العَرَض في الجسم، فيلزم قدم الجسم، وهو باطلٌ. فبطل القول بكونه متَحَيِّزاً، وهو المطلوب.

وأما بيان أنَّه تعالى ليس في جهةٍ: فلاَّنه لو كان كذلك لكان مركَّباً إن كان منقسماً، وهو محالٌ إذ كانت حقيقته تتوقف على وجود التركيب، والأزليُّ يجبُ

أن لا تتوقف على غيره.  
أو بحيث لا يقبل القسمة، وهو محالٌ تنزيهاً لذاته عن المشابهة للجوهر الفرد،  
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

#### الفصل الرابع

##### في أنه ليس بمرئي

والدليل على ذلك: أنه لما ثبت كونه تعالى في غير جهةٍ ومكانٍ، استحال رؤيته،  
والعلم به ضروري.

#### الفصل الخامس

##### في أنه تعالى قادر على كلٍّ مقدور، وعالم بكلٍّ معلوم

والدليل على الأول: أننا قد بينا كونه تعالى قادراً على بعض المقدورات،  
والمقتضي لذلك ذاته، والمصحح له حياته. ونسبة هذين إلى جميع المقدورات  
على واحدة، فلما قَدَّر على البعض، وَجَبَ أن يَقْدِر على الكلِّ.  
وأما بيان كونه تعالى عالماً بكلٍّ معلوم: فلأنَّ أثر الأحكام في العالم معلومٌ  
ضرورةً، وهو يدلُّ على العلم، والمقتضي لذلك العلم الخاصَّ ذاته، والمصحح له  
حياته، فلما ثبت علمه بالبعض وَجَبَ علمه بالكلِّ، فثبت أنه تعالى قادر على كلِّ  
مقدور وعالم بكلٍّ معلوم.

#### الفصل السادس

##### في أنه تعالى مُريد وكاره، وماهيّة الإرادة

قال أبو الحسين البصري: المعنى من كونه تعالى مريداً، هو أن له حاثٍ وداعٍ  
دعاه إليها.

ومعنى كونه تعالى كاره: هو أن له، أى... دعاه الدّاعي الحثّ عليها.  
وأمّا الدليل على أن هذا الصفة حاصلة له سبحانه: فهو أنّه لما ثبت كونه  
مؤثراً في العالم مع جواز ألاّ يؤثر، فلا بدّ من أمرٍ اقتضى إيجاد العالم، وهو  
المسمّى بالإرادة.  
وأمّا بيان كونه تعالى كارهاً: فلاّنه لمّا حكم صريح العقل بوجود مقبّحات  
عقلية، وكان سبحانه في غاية درجات الكمال، فلا بدّ أن يكون كارهاً لها.

### الفصل السابع

#### في أنّه تعالى حيّ

والدليل على ذلك: أنّه قد ثبت كونه تعالى عالماً، قادراً، والحيّ هو الذي لا  
يمنع أن يعلم ويقدر، فلما ثبت الأوّل ثبت الثاني.

### الفصل الثامن

#### في أنّه تعالى سميعٌ بصير

ومعنى ذلك أنّه تعالى عالم بالمسموعات والمبصرات، وقد تقرر أصل ذلك في  
كونه تعالى عالماً.

### الفصل التاسع

#### في كونه تعالى متكلماً

وهو يحتوي على أربعة أقسام:

أحدها: حدّ الكلام.

الثاني: في وجه كونه تعالى متكلماً.

الثالث: في اقامة البرهان على كونه تعالى متكلماً.

الرابع: في أن كلامه تعالى مُحدث.

قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي<sup>(١)</sup> قدس الله روحه، في بيان الوجه الأول وهو حدّ الكلام: «إنّه ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه الحروف المعقولة، إذا وقع ممّن يصحّ منه، أو مِنْ قبله الإفادة».

وأما وجه كونه تعالى متكلماً: فلأنّه تعالى فعل الكلام، وكلُّ مَنْ فعل الكلام سُمّي متكلماً. والدليل على وقوع ذلك منه السمع.

وأما بيان أن كلامه تعالى مُحدث: فلأنّه غير مستمر الوجود، فامتنع كونه أزليّاً.

### الفصل العاشر

في أن حقيقته تعالى غير معلومة لنا

إعلم أيّها الطالب: الذي أحاطت به عقولنا: إمّا صفات ثبوتية، أو سلبية، والقسمان مغايران للذات، فظهر أن حقيقته غير معلومة لنا.

### الفصل الحادي عشر

في أنّه تعالى واحد لا ثاني له

والدليل على ذلك: أنّه قد ثبت أن الإله يجب أن يكون قادراً على كلّ مقدور،

١. وهو شيخ الطائفة الإمامية الإمام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، من أعلام المسلمين في القرن الخامس الهجري، ولد بخراسان عام ٣٨٥ هـ وهاجر إلى بغداد سنة ٤٠٨ هـ وتتلّمذ أولاً على الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ثم على الشريفين الرضي والمرتضى، ثم استقلّ بالدرس والبحث والمناظرة والتأليف إلى أن توفي المرتضى عليه السلام عام ٤٣٦ هـ فصار زعيم الطائفة وشيخ الشيعة، هرب من بغداد إلى النجف الاشرف أثر الحوادث الطائفية التي أعقبت دخول طغرل بك بغداد، فبقي فيها وأسس حوزتها العلمية الشهيرة، له تأليفات عديدة، توفي عام ٤٦٠ هـ بالنجف الاشرف.

وإذا كان الأمر كذلك فنقول: لو جاز أن يكون معه تعالى إله آخر، لكان بتقدير أن يريد جميعاً إيجاد أثرٍ واحدٍ، فإمّا أن يقع بهما، أو لا بواحدٍ منهما، أو بأحدهما دون الآخر. والأقسام باطلة، فبطل القول بتجويز إلهين.

بيان إمتناع الوجه الأوّل: أنّ الأثر مع المؤثر التامّ الواجب الوقوع، مستغنٍ عن غيره، فلو وقع بهما لا يقطع عنهما، وهو جمعٌ بين النقيضين، وهو محالٌ. والثاني: محالٌ لأنّ المانع له من وقوعه بأحدهما وقوعه بالآخر، فلو امتنع بهما لوقع بهما، وهو محال.

والثالث: محالٌ لأنّه يقتضي عجز أحدهما، والعاجز لا يكون إلهاً. فظهر أنّ القول بتجويز إلهين مفضٍ إلى المحال، وما يفضي إلى المحال كان محالاً، فثبت أنّ الله تعالى واحدٌ لا ثاني له، وهو المطلوب.

#### الفصل الثاني عشر<sup>(١)</sup>

في أنّه غنيٌّ

.....

#### الفصل الثالث عشر

في أنّ صفاته أزليّة سرمدية

.....

#### الفصل الرابع عشر

في خلق الأعمال

.....

١. بياض في الأصل.

### الفصل الخامس عشر

#### في الوعد والوعيد و ما يتصل بذلك

الوعد إخبارٌ بوصول نفع، أو دفع ضررٍ في المستقبل. والوعيد نقيضه، ويقال: (وعدته خيراً ووعدته شراً). فإذا أبهمت كان الوعد للخير والوعيد للشر. والمذهب: أن الوعد لأهل الإيمان بالثواب الدائم، وللکفار بالعقاب الدائم. والفسوق لا يقتضي خلود من صدر عنه في النار. سواء كان بكبيرة أو صغيرة، خلافاً للمعتزلة والخوارج في الكبيرة. ويردّ عليهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ولما ثبت أن دخول الجنة لا يتعقّبه عقاب، كان وجه وصول ثمرة الوعد والوعيد لمن جمع بين الطاعة والمعصية البداءة بالانتقام ثم الإنعام، مع أن العاصي معرض للعفو من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، ولما كان نفي المغفرة مع عدم التوبة في الشرك، وجب أن يكون الوعد بها موجوداً مع عدم التوبة في صنوف العصيان، ليرجع النفي والإثبات الى معنى واحد.

وروى عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال في معنى هذه الآية: «الكبائر في الاستثناء؟ قال: نعم». وروى عن النبي عليه وآله السلام، قال: «إدخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

هذا الذي ذكرناه في حقوق الله تعالى. وأما حقوق العبيد فيما بينهم: فإنها معرضة لعفو من كان له حق، واتصال ذلك

إليه بوجه من الوجوه، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾. وممّا يتّصل بالوعد والوعيد عذاب القبر، وحال الموقف والحساب والميزان، والصراط. قال الشيخ محمّد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه: (جميع المسلمين على عذاب القبر لا يختلفون فيه، وضرار بن عمرو<sup>(١)</sup> لا يُعتدّ بخلافه). وأمّا حال الموقف والحساب والميزان، فما نطق به لسان أهل الكتاب. والمعنى من الميزان: إمّا وزن صُحُف الأعمال، أو أنّه إشارة إلى العدل، فيكون ذكر الموازين كناية واستعارةً. أمّا الصراط: فقليل إنّه طريق أهل الجنّة، وإنّه يتّسع عليهم، ويضيّق على أهل النار. وقيل المراد به الحجج والأدلة. والله أعلم.

## الفصل السادس عشر

### في انقطاع التكليف

والدليل على ذلك: أنّ الثواب الأخروي خالص من الشوائب، والتكليف مبني على المشقّة، وأمّا الشكر من المثابين باللسان، فيجوز أن يقع مقترناً باللذّة والسّرور.

## الفصل السابع عشر

### في النبوة

واشتقاق لفظه [مِنْ] «النبّي»، وهو مبنيٌّ على وجهين: إن كان بالهمز، فهو من الإنبياء هو الإخبار.

١. هو أبو عمرو ضرار بن عمرو القاضي، كان تلميذاً لواصل بن عطاء، ثمّ انصرف عنه وأسس فرقة سُمّيت بـ(الضراريّة) كان لا يزال حياً حوالى سنة ١٨٠ هـ.



وإن كان مُشَدِّداً غيرُ مهموزٍ فهو مشتقٌّ مِنَ النبَاوة، وهي الإِرتفاع.  
ولنذكر بعد هذا ما يتعلّق بهذا الفصل مِنَ المعاني المعقولة، فنقول:  
بعثة الرُّسل حسنة لما ينطوي عليه من مصالح الخلق عاجلاً وآجلاً. والمذهب يقتضي وجوبها، بدليل أنّ العقلاء لمّا كانوا جائزي الخطاء، فلا بدّ من وازعٍ وهو الرُّسول، أو ما يجري مجراه.  
وأما الدليل على نبوّة نبيّنا محمدٍ ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، فهو أنّ نقول:  
إنّه ﷺ ادّعى أنّه رسول الله وذلك معلوم يقيناً بين العقلاء، وظهر على يده المعجز الإلهيّ المقترن بتصديقه في الدّعى، ومن حصل له ذلك ثبت نبوّته.  
أما بيان دعوى النبوة: فقد سلف.  
وأما بيان أنّه ظهر على يده المعجز: فأنّه ظهر على يده القرآن الذي عجز الفصحاء عن مشابهته، والبلغاء من مداناته ومقاربتة:  
فإنّما يكون ذلك لمعنى يرجع إلى شريف ما حواه،  
أو لأنّ الله تعالى صرّفهم<sup>١</sup> عن الاتيان بما ضاهاه وداناه،  
وعلى كلّ الأمرين، ثبت وجود أمرٍ باهر يدلّ على أنّ الذي وقع ليس من آثار القدر البشرية، بل من صنيع إله البريّة الموصوف بالكمال، مصداقاً له فيما ادّعاه من الإرسال، ثبت إذن صدقة فيما ادّعاه، وقصداً إليه نجاةً، وهو المطلوب.  
إلى غير ذلك من المعجزات وفنون الإشارات.

### الفصل الثامن عشر

#### في النسخ

وهو عبارة عن كلّ دليلٍ شرعي على أنّ مثل الحكم الشرعي الثابت بالنّص

١. إشارة إلى مذهب الصرفة الذي تتبناه الشريف المرتضى و بعض المعتزلة.

الأول زائل في المستقبل، على وجه لولاه كان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه. والخلاف في ذلك مع اليهود، واختلف قولهم في ذلك إلى ثلاثة طرق: فمنهم: من منع منه عقلاً.

ومنهم: من منع شرعاً، مستنداً بقول موسى عليه السلام ﴿تَمَسَّكُوا بِالسَّبْتِ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، وعلى هذا فيكون هذا منعاً خاصاً لنسخ شريعة موسى عليه السلام. ومنهم: من أجازة عقلاً وشرعاً ومنع من نبوة نبيينا محمد ﷺ.

وفيما ذكرناه من البرهان على نبوته عليه السلام ولوازمها ما يبطل مذاهيبهم. ولا وجه لقول من منع النسخ لأجل البداء ما جمع شروطاً واحداً، أما إذا فقدت هذه الوجوه أو بعضها فلا مانع أن يصير ما كان مصلحةً مفسدةً.

وأما الرواية عن الكلبي صلوات الله عليه بتأييد شريعته فغير مسلمة، وإنما هو قول إدعاه اليهود، [و] مع تسليم الرواية فإن لفظة التأييد في [الخير] ليست للدوام، بدليل قوله في العبد: «أنه يُستخدم ست سنين ثم يعتق في السابعة، فإن أبي العتق، فليُتقَبْ أذنه ويستخدم أبداً».

ولأنه قيل في البقرة التي أمروا بذبحها: (يكون ذلك سنة أبداً)، ثم انقطع. ومما يرد على اليهود في معنى النسخ عقلاً وشرعاً إن كان أحد منهم يذهب إلى أن ذلك ممنوع في جميع الشرائع: أنه جاء في التوراة أنه قال لنوح عليه السلام بعد خروجه من الفلك: (قَدْ جَعَلْتُ كُلَّ دَابَّةٍ مَأْكَلًا لَكَ)، ثم إنه تعالى حرّم على موسى عليه السلام كثيراً من الحيوانات.

## الفصل التاسع عشر

### في الإمامة

ومذهب الإمامية أن نصب رئيس يكون اماماً لجميع الأمة واجب على الله تعالى، مع بقاء التكليف، وجواز الخطأ على الأمة، اعتباراً ممّا ثبت من صفات

الخالق من الحكمة وغيرها، ومعلوم أن من صنع ماديةً ثم دعا الناس إليها، وعرف أن تقرّيبهم من الحضور الذي أراده منوط بالمعنى الفلاني، فأنه والحال هذه لا بد أن يفعله إذا كان موصوفاً بالحكمة والقدرة، جامعاً للشروط المهيّئة له، ولا شبهة في أن تأثير الرئيس في القرب من الطاعات، والبعد عن المقتبحات، كتأثير المعنى المذكور في حضور الطعام، فوجب نصب الإمام على أحكم الحكماء، وأقدر القدراء، وأعظم العظماء، وأرحم الرحماء.

### فصل

قالوا: ويجب أن يكون الإمام معصوماً، ويجب أن يكون أفضل من رعيّته في فنون الفضائل، حاوياً لما يحتاج إليه من إرشاد الجاهل وتقويم المائل. أمّا وجه الأوّل: فلأنّ علّة الحاجة إلى الرئيس، جواز الخطاء على الرّعية، فلو شاركهم في هذا المعنى لأحتاج إلى إمام، وتسلسل القول في ذلك إلى وجود أئمةٍ لا نهاية لهم، وهو محال. وأمّا أنّه يجب أن يكون أفضل من رعيّته: فلأنّ العقل يقبّح عليه تعالى تقديم المفضول على الفاضل.

قالوا: وإذا ثبت هذا فالإمام الحقّ بعد الرّسول صلوات الله عليه وآله، على بن أبي طالب عليه السلام، وذلك [لأنّ] كلّ من ادعيت له الإمامة في زمانة أجمعت الأمة على أنّه غير [واجد] العصمة، فامتنع أن يكون إماماً، لما بيننا وثبت أنّه لا بدّ من [ذلك]، فتعيّن هو عليه الصّلاة [والسلام].

وأما بيان أنّه عليه السلام، كان أفضل من جميع الأمة: فهو من الأمور المعلومّة عند كلّ منصفٍ [تأمل] فنون فضائله، وتدبّر شرف صفاته، وباهر شمائله في كتب العامّة فضلاً من الخاصّة، بل هي مسطورة في صحائف قلوب المتواترين، مرقومة في

دفاتر خواطر المحققين، والإشارة إلى ذلك جملةً بأن نقول:

الفضائل تنقسم إلى قسمين: كسبيّة وغير كسبيّة.

فأمّا غير الكسبيّة: فكالقوّة المزاجيّة، وشرف النفس الطاهر[ة] القدسية، وما يحتوي عليه الإنسان من أوصاف زكيّة كالعقل الوافر، وآلة الحفظ الباهرة، ولصوق ذلك بصحف السرائر والبلاغة، والعلم، والشجاعة، والكرم، والبراعة، وكرم الأخلاق، وشرف العناصر والأعراق، وغير ذلك من أوصاف حاز فيها ﷺ قصب السباق.

وأما الفضائل الكسبيّة: ...<sup>١</sup> الإنبعث إلى ثمرات هذه الأصول الفريضة، ونتائجها الرفيعة، ومما يلحق بذلك ماورد عن الرسول ﷺ في حقّه من المدح العظيم، والتعريض الباهر الجسيم.

إذا ثبت هذا فنقول :

إنّ علياً ﷺ كان فيه من إلى أنّه جعل باب خير ترساً في الشمال على خلاف مجرى العادة في مثل هذا الحال، وكان لا يقدر على تحريكه إلّا ثمانية رجال، وقيل أكثر من ذلك، ونسبة كون الباب ترساً في اليد الشمال إلى تمام قوته جزء يسير من معنى كبير.

وأما بيان طهارة نفسه ﷺ: فلأنّ دنس الضلال لم يمازج شرفها قطّ، ولم يدنُ إليه.

وأما بيان شرفه في ميمون الآراء، ومجيد الأنحاء: فإنّ أكمل البشر رسول الله ﷺ، وكان مؤمراً له ﷺ مع حداثة سنّه، مقدّماً منتخباً له بأمر الله، مكلماً هذا في زمن الشباب، فكيف ولا استمرار البقاء مع العناية الإلهيّة معنى عجاب، والاستقراء يحقق جلالة حاله في هذا المقام. ومن العجب الاستدلال على البدر في ليالي التمام!!

وأما بيان شرفه في آلة الحفظ، وما ترتّب عليه: فإنّه أمرٌ لا يخفى عمّن لم يعرق في قوس التدبّر، فكيف يلتبس على أهل التأمل والتفكر، ولو لم يكن من المشاهد على ذلك إلا قول الرسول ﷺ له ﷺ: «إنّ الله أمرني أن أدنّيك ولا أفضيعك، وأن أعلمك وتعي، وحقّ على الله تعالى أن تعي»، وفي بعض الروايات يقول عليّ ﷺ: «وما كان لي أن أنساه». وإذا تأمل العاقل المديحة فيما يندرج عليه قول الرسول ﷺ: «وحقّ على الله أن تعي» رأى أنّ فكره مقصّر عن الوصول إلى معنى ثمراتها، وعرف أنّ هذه فضيلة يقع العجز عن استبقاء شرف غاياتها، فلقد كان عبدالله بن العباس رضي الله عنه يسمع هذا القصيدة مرّة واحدة فيحفظها، فيقال له: ما رأينا أذكى منك! فيقول: (ما رأيت أذكى من عليّ بن أبي طالب)، وفي غير ذلك من فنون الغرائب.

وأما بيان شرفه في آلة البلاغة: فأمرٌ يُغني ظهوره عن إقامة البرهان، والاستقراء يحقّق ما أشرت إليه.

وأما ما يتعلق بالحلم النفساني لا التكليفي: فإنّه ﷺ كان كثير الأعداء، ومجتمع الفضائل، مظنة للحسد والشّحناء، ومع ذلك فلم ينقل عنه تحرّق على ترك الانتقام، وحسد سار في كثير من الأنام، ومن... اشتغل عمّن عداه، ولا يرى معنى سواه. وأما بيان شرفه في الكرم الذاتي: فلأنّ الكرم والبخل في مقام النقيضين، إذا انتفى أحدهما نفى الآخر، وإذا كان الأمر كذلك، فنقول:

إنّ الشّحّ ثمرّة لتعظيم زهرات الدنيا الزائلة، ونجوم فرحاتها الآفلة، ومن كانت الدنيا عنده كعفطة عنز، أو عراق<sup>١</sup> خنزير في يد مجذوم، بدليل قوله ﷺ [و-] شهادة الرسول عليه الصلوات، بمتابعة الحق فيما يسير فيه، وجب أن يكون ذاته أسمع بما في الوجود من سماح جوادٍ معدوم.

١. عراق: بكسر العين، هو من الحشا ما فوق الشّرة معترضاً البطن. جاء في حكم أمير المؤمنين ﷺ (حكمة رقم ٢٣٦، نهج البلاغة) قوله: «والله لدنياكم أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم».

وأما بيان شرفه في آلة الشجاعة والإقدام، وعدم الاهتمام بخوض غمار الجمام: فأمراً يشهد به لسان التواتر، وهو في الشهرة كالنجم الزاهر.

وأما بيان شرفه في كرم الأخلاق: فإنه أمرٌ ظهر بين الأولياء والأعداء، والمحبيين والبغضاء، حتى نُسبه الأعداء إلى الدُّعابة المذمومة وكذبوا، ولكنّها أخلاق النبوة المعروفة المفهومة، وكيف لا يكون ﷺ مشبهاً للرسول وهو بمنزلة الرأس من الجسد، بدليل المنقول.

وأما بيان شرفه في طهارة الأعراق والعناصر، وما يترتب على ذلك من المفاخر: فإنه ابن عمّ الرسول، وزوج البتول، وأبو السبطين، وأول هاشمي ولد بين هاشميين، مع خصوصيّة أخرى وهي ولادته في الكعبة، ونيله بذلك غريب الرتبة، الى غير ذلك من الخصائص التي تدرج تحت هذا الإجمال، والبسط لا يحتمله هذه الأوراق، ولكلّ مقام مقال.

وأما بيان شرفه في الإنبعث إلى ثمرات بعض ما ذكرته من الأصول، وهي الفضائل الكسبيّة، و ان كان في بعض ما ذكرت تنبيه على معانيها المرضيّة، فنقول:

أما انبعثه إلى ثمرات العقل وما ترتّب عليه، وان كانت المحاسن بأسرها ثمرة لما أشرت إليه، إلا أنّي أذكر في هذا المعنى ما هو شديد المناسبة للوجه المذكور، من شريف الأمور، وشرح ذلك: أنّه أشتهر عنه صلوات الله عليه من الوصول إلى دقائق المعارف الإلهيّة، والإخبار بالأحوال الغيبيّة، والمتجدّدات الخفيّة - حتّى ادّعى فيه جماعة من العقلاء وإلى الآن مقام الرُّبوبيّة - أمورٌ باهرة، وعلومٌ على مرور الأيام ظاهرة، مع الذي ينضمّ إلى ذلك من معرفته بالقضايا والأحكام، والحلال والحرام، وأشرف من ذلك الأطلّاع على أسرار التنزيل، ودقائق التأويل، وكيف لا يكون كذلك وقد كان للوحي الشريف كاتباً، ولسيّد البشر تلميذاً وأخاً وصاحباً، ومن حقّه في الفهم على الله واجباً.

ثمَّ إِنَّهُ ﷺ كَانَ الْمُوَطَّى لِقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَقَامَاتِهَا الْمَرْضِيَّةِ، فَعَلَى هَذَا جَمَاعَةُ الْفَضْلَاءِ فِي ضِيَافَةِ تَسْلِيكِهِ يَرْتَعُونَ، وَإِلَى وَظِيفَةِ تَهْذِيبِهِ يَتَقَلَّبُونَ، وَكَذَلِكَ اسْتِفَادَ الْعُلَمَاءُ مِنْ مَبَاحِثِهِ الْكَلَامِيَّةِ مَا يَشْهَدُ بِهِ جَوَاهِرُ كَلِمَاتِهِ الْمَنْظُومَةِ، وَبَرَاعَتِهِ الْمَفْهُومَةِ، مَعَ الَّذِي يَنْضُمُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ فَوَائِدِ خُطَابَتِهِ، وَفَرَائِدِ مُحَاسَنِ بَلَغَتِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِ النُّجُومِ، ...<sup>١</sup> وَلَا عَجَبَ فِيمَنْ كُوشِفَ بِشَرَفِ الْمَعَارِفِ الْعُلُويَّةِ، إِذَا أَظْهَرَ عَلَى بَعْضِ الْآثَارِ الْجَزَائِيَّةِ.

وهذه جملة في هذا المقام، تحتوي على تفصيل، وقد ينبّه على الكثير بالقليل، وفيما ذكرناه بعض المراد، وكيف يحوى ما لا ينحصر بضبط الأعداد.

وَأَمَّا بَيَانُ شَرْفَةِ فِي الْإِنْبِعَاطِ إِلَى ثَمَرَةِ آلَةِ الْحِلْمِ: فَمَشْهُورٌ غَيْرُ مُسْتَوْرٍ، وَمِمَّا أَذْكَرُهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ - وَإِنْ كَانَتْ نَسَبَتُهُ إِلَى الْإِخْلَاصِ أَتَمَّ مِنْ نَسَبَتِهِ إِلَى الْحِلْمِ عَنْ الْإِنْتِقَامِ - وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا قَعَدَ عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ بِصُقٍ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ صَدْرِهِ، مَعَ بَلِيغِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، حَذَرًا أَنْ يَمَازِجَ إِجْهَازَهُ عَلَى مَهْجَتِهِ شَائِبَةُ الْغَضَبِ، لَمَّا اعْتَمَدَهُ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ. وَكَذَلِكَ رَجَعَ عَمَّنْ نَازَلَهُ بِصَفَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِصْطِلَامِ، لِقَصَصٍ لَا يَلِيْقُ ذِكْرُهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ.

وَمِمَّا يَذْكَرُ أَيْضًا فِي هَذَا الْبَابِ: مَا رَوَى أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ قَالَ: «قَوْلُوا لِعَلِّي يَعْرِفَنِي فِي الصَّفِّ»، فَمَا كَانَ ذَلِكَ يَهَيِّجُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: «لَأَنَّ دَمَهُ دَمُ عَصْفُورٍ»، مُؤَثِّرًا لِلْإِغْطَاءِ عَنْ مُعَاجَلَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ.

وَأَمَّا بَيَانُ شَرْفِهِ فِي الْإِنْبِعَاطِ إِلَى ثَمَرَةِ آلَةِ الشَّجَاعَةِ: فَأَمْرٌ اشتهر، وَفَضْلٌ ظَهَرَ، وَمُوَاقِفُهُ مَعَ الرَّسُولِ فِي جِهَادِ الْكُفَّارِ فِي الشَّهْرَةِ كَوْضُوحِ النَّهَارِ، فَكَمْ جَدَّلَ مِنَ الْأَبْطَالِ، وَقَصَّ مِنَ الرِّجَالِ، وَقَرَّبَ مِنَ الْأَجَالِ، وَحَطَّمَ بِيَأْسِهِ مِنْ قُرُونِ الضَّلَالِ، حَتَّى أَثْنَى عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ، وَمَدَحَهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ، فَأَصْبَحَتْ نَارُ الْكُفْرِ بِقَطْرِ سَيُوفِهِ

١. بياض في الأصل.

خامدة، وخضراء الشُّرك بصواعق صوارمه هادمة، فله بذلك على المسلمين على توالي الأعصار حق لا ينزع قلائده، وفضل لا يتكدر موارده، فهو قسيمهم في أجر ما يتقربون به من الأعمال. صلى الله عليه من عامل لا ينقطع ثوابه الشائع إلى يوم المآل. وله بعد النبي ﷺ وقعات تضمّنت السير شرح حالها، ومن بعض معانيها أنّه ﷺ قتل في ليلة واحدة بيده الشريفة ما يزيد على خمس مائة إنسان في معرك القتال في غزاة يعدّ العلماء وقوعها من معجزات... لأخبار النبي ﷺ بما يعتمد منه من هاتيك الوقائع العظام.

وأما بيان شرفه في الانبعاث بحسب آلة الكرم: فإنّ الذي ينبغي أن يذكر في مثل حاله صلوات الله عليه، بذل الأرواح، وتعرضها لشوك الرِّماح، وخطر الكفاح، وقد اعتمد ذلك صلوات الله عليه واقياً للرسول ﷺ بمهجته في ليلة الفراش، وغيرها من أيام موافقته ومواردته.

ومما يذكر من مبرور سماحته ما أنبأ الله تعالى عليه وكفى، وذلك مذكور في سورة هل أتى، وغير ذلك ممّا تضمّنه القرآن الشريف، والتنزيل المقدس المنيف. ومما يروى عنه أيضاً فيما وقعت الإشارة إليه: أنّه أعتق ألف عبدٍ من كسب يديه، وغير ذلك من فنون صدقات باهرات، حتّى أنّ السُّراة من بنيهِ صلوات الله عليه كانـ[وا] يتنافسون في تولّى ما جعله وقفاً على المبار، ومساعدة أهل الاضطرار.

وأما بيان شرفه فيما يتعلّق بالزّهاد والعبادة والمخالفة وذلك ثمرة لبعض ما ذكرناه من الأصول، فإنّي أقول:

أما زهده في الدُّنيا: فإنّه أشهر أن يدلّ عليه، وكيف يتقدّر غير ذلك والدُّنيا عنده بمنزلة عراق خنزير لا يتلفت إليه، بدليل قوله، وشهادة الرسول بمتابعته الحقّ فيما يعوّل عليه. ومعلوم أنّ حبّ الدُّنيا فرع لجهالة حالها، وترك التدبّر لحقارتها، وزوالها وكدورتها واضمحلالها، وعدم المكاشفة بالأسرار الإلهيّة، وشرف



المقامات الأخروية. أمّا من كان في هذه القواعد كعبة مأمومة، ومحجة مفهومة، إمتنع أن يكون مشغولاً بما يقرب من ملك العباد، ويونس سلطان يوم التناد، ولا أقول مشغولاً بما يقرب من الثواب في دار المعاد، لأنّ ذلك أمر ينزّه العارف صلوات الله عليه عنه إذا استخلصه سيّده من كلّ شىء إلاّ منه.

وأما عباداته وخدماته ومجاهداته: فإنّها كانت إلى حدّ فيستصغر ولده زين العباد ألف ركعة منه عند ركعة واحدة صدرت عنه، وفي ذلك بيان الإخلاص التّام، بل غيره من شريف الأقسام.

وأما بيان مخافته من الله تعالى: فقد روي أنّه عليه السلام كان في بعض خلواته ومناجاته مغشياً عليه، هذا وإن كان آمناً من الأخطار، ولكن حقّ لمن عرف ذلك الجلال أن يتلاشي وجوده في باهر تلك الأنوار.

وأما ما يؤثر من الأخبار النبوية في الثناء على شرف حاله: فأمر ظاهر بين العلماء، بل عند الأغبياء، وقد روي عن الشيخ الجليل أحمد بن حنبل ما معناه أنّه قال: «ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب»<sup>١</sup>.

هذه جملة يسيرة يحتاج تفصيل القول فيها إلى كتب بسيطة غزيرة، ولولا أنّه لامندوحة عن ذكر نبذ فيما قصدت إليه، لكان لي عذر في الإعراض عمّا نبّهت عليه، حذراً أن أكون في مقام معتابٍ بتهجمي على مدح فضائل تولّى اطراءها لسان الكتاب تجاوز حدّ المدح، حتى كأنّه بأحسن ما يثنى عليه يعاب.

وأما بيان أنّ هذه الأمور لم تكن حاصلة لمن سواه: فإنّ الاستقراء يحقّق ذلك ويوضّحه، ويقوّيه ويرجّحه، وتركت إيراد الآيات الدّالة على إمامته، والآثار الصريحة في خلافته، تجنباً للإسهاب، وإيثاراً للاختصار في هذا الباب، والله الموفق للصّواب، وقد نذكر من ذلك في الفصل التالي لهذا نبذة يسيرة

١. رواه الحاكم النيسابوري في «المستدرک»: ج ٣ / ١٠٧، والذهبي في «التلخيص»، وابن الجوزي في «مناقب أحمد»: ١٦٣، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء»: ١٦٨.

اتّباعاً لقاعدة من يستدلّ على ضياء الشمس المنير بالزاهر القصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

### [فصل]

قالوا: وأمّا الدليل على إمامة الأئمة الاثني عشر، عليّ والأحد عشر من ولده عليه السلام، فمن وجوه كثيرة، ولنتصر على طريقين: أحدها: دليل العصمة.

الثاني: النصّ.

أمّا الأوّل: فقد سبق تقريره في الفصل الثاني المتعلّق بإمامة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا الثاني: فبيانه ما روي من طريق الخاصّة والعامة:

أمّا ما ورد من طريق الخاصّة: فإنّه أمر متواتر لا يحتاج فيه عندهم إلى تعيين نصّ يشار إليه، كوجوب الصلاة التي لا يحتاج إلى نصّ معين، يستثمر منه وجوبها في شرع النبي صلى الله عليه وآله.

وأمّا ما روي من طرق العامة: فكثير، وقد ادّعت الإماميّة في بعضه التواتر من جهتهم أيضاً.

وأيضاً: فمما يذكر من طرقهم ما روي من طريق البخاري يرفعه إلى عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «يكون بعدي اثني عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، قال أبي: إنّه قال: «كلّهم من قريش»<sup>١</sup>.

ومن ذلك ما روي من طريق مسلم يرفعه إلى حصين، عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي عليّ النبي صلى الله عليه وآله فسمعتة يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفه» قال: ثمّ تكلم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال:

١. صحيح البخاري: كتاب الأحكام: حديث رقم ٧٩.

«كلّهم من قریش»<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ماوراه ابن المغازلي الفقيه الشافعي، يرفع الحديث إلى عليّ بن جعفر، قال: سألت [أبا] الحسن عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَمْشَكَاةٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ؟﴾ قال: «المشكاة فاطمة، والمصباح الحسن والحسين»؟ ﴿وَالزَّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ؟﴾ قال: «كانت فاطمة عليها السلام كوكباً درّياً من نساء العالمين». ﴿تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ؟﴾ الشجرة المباركة إبراهيم، ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ؟﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيّ؟﴾ قال: يكاد العلم ينطق منها. ﴿وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ مِّنْ يَشَاءٍ؟﴾ قال: منها إمام بعد إمام. ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ؟﴾ قال: [يهدي] الله عزّ وجلّ لولايتهم من يشاء».

أمّا وجه استثمار الدلالة من الخبرين الأوّلين: فهو أن الامة بين قائلين: منهم من يذهب إلى حصر هذه الأعداد في الإمامة، ومنهم من لا يقول به. فمن لا يقول بذلك قوله باطلٌ بهذين الخبرين الصحيحين، ومن قال بالحصر وجب أن يكون معيّناً على الأئمة الاثني عشر الذين نشير إليهم، إذ القول الخارج عن ذلك قول خارج عن الإجماع، فيكون باطلاً. وأمّا وجه استثمار الدلالة من الحديث الثالث فظاهراً، والطريق إليه كالطريق إلى الاستدلال بالحديثين الأوّلين، وفي ذلك ثبوت ما ندّعيه من امامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

وأمّا ما روى في امامتهم عليهم السلام من طريق المخالف على سبيل التفصيل: فقد روى أخطب خطباء خوارزم موفق بن أحمد المكي<sup>١</sup>، يرفع الحديث إلى أبي سلمان، داعي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليلة أُسري بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. فقلت:

٢. صحيح مسلم: كتاب الامارة: حديث رقم ٥.

١. هو الإمام الموفق بن أحمد بن محمد بن المكي الخوارزمي، أخطب خطباء خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هـ و له عدة كتب منها «المناقب» أو فضائل امير المؤمنين عليه السلام.

والمؤمنون؟ قال: صدقت يا محمد

مَنْ خَلَقْتَ فِي أُمَّتِكَ؟ قلت: خيرها. قال: عليّ بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا ربّ. قال: يا محمد إنّي أطّلت إلى الأرض أطّلاعةً فاخترتُك منها، فشَقَقْتُ لك إِسْمًا مِنْ أَسْمَائِي، فلا أذكر في موضعٍ إلّا ذكرت معي، فأنا المحمود و أنت محمد، ثمّ أطّلت الثانية فاخترت علياً فاشتققت له اسماً من أَسْمَائِي، فأنا الأعلى و هو عليّ. يا محمد إنّي خلقتك، و خلقت علياً، و فاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة من ولده من نوري، و عرضت ولايتكم على أهل السّماوات والأرض فمن قبلها كان من المؤمنين، و من جحدها كان عندي من الكافرين. يا محمد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع، أو يصير كالشّن البالي، ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم، ما يقرب له حتّى يقرّ بولايتكم. يا محمد أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ. قال: فالتفت عن يمين العرش. قال: فالتفت فإذا بعليّ، و فاطمة، والحسن، والحسين، و عليّ بن الحسين، و محمد بن عليّ، و جعفر بن محمد، و موسى بن جعفر، و عليّ بن موسى، و محمد بن عليّ، و عليّ بن محمد، و الحسن بن عليّ، و المهديّ في ضحضاح من نورٍ قيامٌ يصلّون، و هو في وسطهم - يعني المهديّ - كأنّه كوكب دري. فقال: يا محمد هؤلاء الحجج، و هو الثائر من عترتك، و عزّتي و جلالتي إنّهُ الحجة الواجبة والمنتقم من اعدائي».

ومن الكتاب يرفع الحديث إلى سلمان المحمّديّ، قال: «دخلت على النبيّ ﷺ والحسين عليّ فخذه، وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، ويقول: أنت سيّد وابن سيّد أبوالسّادة، و أنت امام ابن امام أبوالأئمة، أنت حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم».

وهذا الحديث ليس هو في التفصيل كالحديث السابق عليه، وليس الغرض استيفاء ما ورد جملةً وتفصيلاً من طريق المخالفة فيما نشير إليه، وفيما ذكرناه تنبيه لأهل الإنصاف البانين عن الانحراف.

## فصل

قيل: وأمّا الذي روي فيما يتعلّق بالمهدي عليه السلام بالتخصيص من طريق الخصم فكثير:

منه: ما روي في «الجمع بين الصحاح الستّة» لرزين العبدى وهو آخر الباب من صحيح النسائي في باب (جامع ما جاء في العرب والعجم) ويرفع الحديث إلى مسعدة الباب، عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أبشروا، أبشروا، إنّما أمتى كالغيث لا يدرى آخره خير أم أوله، أو كحديقة أطعم منها فرح، ثمّ اطعم منها فرح عاماً لعلّ آخرها فرحاً يكون أعرضها و أعمقها عمقاً و أحسنها حسناً كيف تهلك أمة أنا أوّلها، والمهديّ أوّسطها، والمسيح آخرها، ولكن بين ذلك نسيج أعوج ليسوا مني ولا أنا منهم».

ومن الكتاب من صحيح أبي داود وهو الكتاب «السنن»، ومن «صحيح الترمذي» عن أمّ سلمة، قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المهدي من عترتي، من ولد فاطمة صلوات الله عليها».

وروى في عدة أحاديث من طريق العامة أنّه من ولد الحسين عليه السلام، والكتاب يحتوي على ما يزيد على مائة حديث يتعلّق بالمهدي عليه السلام، وقد صنف أيضاً بعض الأفاضل في أخبار المهدي وما يناسب ذلك كتاباً مجلداً.

وبالجملة: فلا خلاف بين الكلّ في ظهوره، إنّما الخلاف في وجوده. وقد ثبت أنّ الله تعالى لا يخلي الأرض من حجة - مع بقاء التكليف - موصوف بصفات العصمة وغيرها، قالوا كما ادّعوا وذلك متعذّر في غيره، فتعيّن هو صلوات الله عليه، وهو المطلوب.

وأما كيفية ظهوره فهو أمر لا يلتبس إذا كان على ما يروى أنّ غمامة تنطق بحاله، وقيل: ملك ينادي بذلك، والله أعلم.

## الفصل العشرون

### في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولا خلاف في وجوبهما على تفصيل في الأمر بالمعروف، وإنما الخلاف في هل وجوبهما عقلي أو سمعي؟ والثاني أرجح. وهل يختار على الكفاية أو على الأعيان؟ فيه خلاف، والثاني أرجح. والأمر بالمعروف ينقسم الى: واجب وندب. فالأمر بالواجب واجب، وبالندب ندب.

والنهي عن المنكر لا ينقسم، لأن المنكر جميعه قبيح. والنهي عن المنكر يترتب بالأسهل، ثم ويفتقر شرعية انكار المنكر إلى أربعة شروط: أن يعرف المنكر، وأن يظهر له أماره استمرار العاصي على المعصية، وأن يعلم تأثير الإنكار أو يغلب على ظنه، وألا يؤدي الإنكار إلى مفسدة يتعلّق بالمال والنفس.

## الفصل الحادي والعشرون

### في الآجال والأرزاق

الآجل: هو الوقت، أو ما تقديره تقدير الوقت فيما لا يصحّ تجددّه، ولا يصحّ التوقيت به.

وأما الرزق: فهو ما للحيوان الانتفاع به وليس لأحد منعه منه. هذا آخر ما أردناه من الفصول، وتفصيل الكلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلواته على سيّدنا محمّد، المبعوث بالرسالة، وآله وعترته، ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم.

